ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294
المجلد:09 العدد: 01 (2023) ص146/128

بنية السرد الروائي في رواية الباب المفتوح

Narrative Structure in the "Albab Almaftouh" novel

أمين نظري تريزي*
جامعة شيراز (إيران)
Aminnazari1369@yahoo.com

بشرى سادات ميرقادري
جامعة شيراز (إيران)
bsmirghaderi@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/01/21
تاريخ القبول:
2023/02/15

الكلمات المفتاحية:
- ✓ السرد القصصي
- ✓ الرواية
- ✓ لطيفة الزيات
- ✓ رواية الباب المفتوح

الملخص:

يدرس هذا البحث العناصر السردية الفنيّة في رواية "الباب المفتوح" معتمداً المنهج الوصفي – التحليلي وما توصّل إليه المقال هو أنّ الكاتبة في المضمون ركّزت على رسم نموذج لشخصية الفتاة المصرية وقضاياها في ظل المجتمع الذكوري، وفي مجال الشخصية تشير إلى التعايش والصراع الذي يستطيع إبراز الصراع الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية وفي الزمان إلى تقنية الخلاصة من خلال توظيف سارد عليم بالأحداث، فاتحاً المجال أمام القارئ لربط الأحداث ببعضها وفي المكان لم تسلط الضوء على الجماليات بل أشارت إلى الأمكنة المغلقة في مصر.

Article info

Received
21/01/2023
Accepted
15/02/2023

Keywords:
- ✓ *storytelling*
- ✓ *Novel*
- ✓ *Latifa Alziat*
- ✓ *Albab Almaftouh*

Abstract :

This research examines the artistic narrative elements such as content, construction, time, place and personality In the novel (Albab Almaftouh). We found that the book in terms of content focused on making a model of personality of the Egyptian girl and her issues in the male society. Concerning personality, the novelist dealt with the coexistence and conflict can highlight social conflict and social problems. As time is concerned, she focused on the technique of summary through the employment of a narrator who knows the events, opening the way for the reader to link events together. For the place, the novelist referred to the closed places in Egypt.

*أمين نظري تريزي

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. مقدمة:

إنّ الرواية في العصر الراهن تحظى بمكانة مرموقة وتعتبر أهم وأشهر شكل من أشكال القصة. الرواية قصة قريبة بالواقع وتتحدث عن الإنسان وحالاته حيث تقوم بانعكاس المجتمع. الرواية «سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد"».[1] وهي «سرد للحياة، أو هي هوية سردية، علماً أنّ هذه الرواية ليست شيئاً جوهرياً ثابتاً بل صورة الذات المتحركة التي يتحقق وجودها في وصفه وجوداً للآخرين ومعهم وبينهم في حركة لا انقطاع لها»[2]

ثمة كثير من الروايات العربية التي تكاد تنبع من قيمتها السردية والدلالية، دون الغض من قيمتها الوطنية والإنسانية، كما أنّ هناك أنواعاً من الروايات التي تغوص في الواقع الاجتماعي العربي في تناقضاته وهمومه. «فالواقع الاجتماعي العربي لايزال تعشش في جنباته أشكال مختلفة من القمع والقهر والفقر والأعراف المتخلفة والبطالة والفساد والتغريب وانعدام حرية الرأي والديمقراطية.»[3] وهناك ميزات متعددة للرواية العربية المعاصرة من حيث السرد الفني. وتكاد هذه الميزات أن تكون تعبيراً عن التحرر من التخلف والقهر والقمع. ورواية "الباب المفتوح" للكاتبة لطيفة الزيات تعالج معظم الموضوعات والقضايا المطروحة على الساحة الاجتماعية والسياسية، بذكاء واتقان ورهافة إحساس، كما يهتم بفكرة الصراع الطبقي والاستغلال الاجتماعي، وحرية المرأة، وتحاول الكاتبة عرض نموذج لشخصية الفتاة المصرية وقضاياها في ظل المجتمع الذكوري حيث تعاني الفتاة من التمزق والقلق. هذه الرواية تعالج حادثة تاريخية، وترسم أخلاق المجتمع وعاداته، وتحلّل أحاسيس الإنسان ونزواته، ونجد فيها عرضاً وحادثة رئيسة، وحوادث ثانوية والزمان والمكان وما إلى ذلك من العناصر السردية.

يحاول هذا البحث بناء على المنهج الوصفي – التحليلي تحليل رواية "الباب المفتوح" تحليلاً سردياً، يعالج أركان عملية السرد من شخصيات و أحداث سردية والأسلوب ومكان الحدث وزمانه، ليبين القيمة الفنيّة والجمالية لهذه الرواية معتمداً أدوات منهجية حديثة حسب النظرة البنائية.

بناء على ما سبق تسعى هذه الدراسة الإجابة عن السؤال التالي:

كيف استخدمت الكاتبة العناصر السردية الفنية للتعبير عن المضامين الاجتماعية– السياسية؟

كثرت البحوث التي تناولت الرواية مادةً للبحث، وشغلت حيّزاً واسعاً في الدراسات الأدبيّة والنقديّة المعاصرة يصعب حصرها. ما تيسر لنا الاطلاع عليه من الدراسات حول السرد الروائي دراسات مثل مقالة "العناصر الفنية في رواية "عينا أم موسى" الإسلامية، كتبها جواد رنجبر وزملاؤه (1396هـ.ش) حيث قاموا بدراسة العناصر الفنية كالحبكة والشخصية والزمان والمكان وما إلى ذلك في هذه الرواية الإسلامية. وهناك مقالة معنونة بـ"بنية السرد الروائي وتقنياته في "الرسالة

---

[1] . مفقودة، صالح، (لاتا)، نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل.، ص3.

[2] . ديفيد ورود. (1999). الوجود والزمان و السرد: فلسفة بول ريكور. ترجمة سعيد الغامني. بيروت: المركز الثقافي العربي، 258.

[3] . المصدر نفسه: 258.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

البغدادية" كتبها فرامرز ميرزايي وزملاؤه (2017م) وسلّط الباحثون في هذه المقالة الضوء على نظرة السارد إلى العالم حيث توصّلوا إلى أنّ ثنائيات المكان والزمان تعتبر أهمّ ما تمتاز به الرسالة من تقنية فنية في مجال السرد.

ومن الدراسات التي تناولت رواية "الباب المفتوح" يمكن أن نخصّ منها بالذكر: دراسة حنان طاحون موسى وزملاؤه (1433ق) المعنونة بـ "الفتاة المصرية في رواية "الباب المفتوح" (دراسة في البناء الروائي) قد عالج الباحثون وفي ضوء النقد الاجتماعي صورة الفتاة في الأثر النسوي في هذه الرواية للتوعية بدور المرأة الهام، وهذه المقالة ركزت جلّ اهتمامها على عنصر الشخصية فقط ولم تشر إلى سائر العناصر السردية الفنية في الرواية. ومقالة عنوانها "النموذج في رواية سووشون ورواية الباب المفتوح (دراسة مقارنة)" كتبها ناصر نيكوبخت وزملاؤه (2014م) وما توصّلت إليه هذه الدراسة هو أنّ هناك تشابه كبير بين شخصية زري –الشخصية الرئيسة في رواية سووشون– وسيمين دانشور كاتبة الرواية وكذلك تشابه شخصية ليلى مع شخصية الروائية لطيفة الزيات وأنّ هاتين الكاتبتين قد استلهمتا مواصفات الشخصيات الرئيسية لروايتهما من وحي شخصيتهما، من ثمّ نلاحظ أنّ هذه المقالة ركزت على عنصر الشخصية فقط.

بناء على ما سبق قد كانت رواية "الباب المفتوح" موضع اهتمام الباحثين إلا أنّ هذه البحوث تناولت الجوانب المختلفة للرواية عما نروم تحقيقه في هذه الدراسة، فلم نجد أي دراسة تناولت بنية السرد الروائي في رواية "الباب المفتوح". إذن تسعى هذه الدراسة تسليط الضوء على جانب لم يعن به الباحثون.

2. الإطار النظري للبحث:

1.2 مفهوم البنية:

مفهوم البنية يتوقف على السياق بشكل واضح، وهي «ترجمة لمجموعة من العلاقات الموجودة بين عناصر مختلفة وعمليات أولية تتميز فيما بينها بالتنظيم والتواصل بين عناصرها المختلفة"[1]. ويعتقد جيرالد برانس أنّ البنية هي «شبكة من العلاقات الخاصة بين المكونات العديدة وبين كلّ مكون على حدة والكل.»[2] فالبنية هي «صورة الشيء أو هيكله أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاءه فحسب وإنّما هي القانون الذي يفسر الشيء ومعقوليته.»[3]

2.2 مفهوم السردية

تعني السردية «القواعد الداخلية للأجناس الأدبية واستخراج النظم التي تحكمها وتوجه أبنيتها، وتحدد خصائصها وسماتها. والسردية هي المبحث النقدي الذي يعني بمظاهر الخطاب السردي أسلوب وبناء ودلالة.»[4]

---

[1] . فضل، صلاح، (1985م)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ص 122.

[2] . القاضي، عبدالمنعم زكرياء، (2009)، البنية السردية في الرواية، الناشر عن الدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، ص 19.

[3] . أحمد، مرشد، (2005)، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 19.

[4] . إبراهيم، عبدالله، (2005)، موسوعة السرد العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 7.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والسردية مداهمة اللامتواصل المنقطع للطرد المستمر في حياة تاريخ أو شخص أو ثقافة إذ نعمد إلى تفكيك وحدة هذه الحياة إلى مفاصل مميزة تدرج ضمنها التحولات ويسمح هذا بتحديد هذه الملفوظات في مرحلة أولى من حيث هي ملفوظات فعل تصيب ملفوظات حال فتؤثر فيها.[1]

3.2 مفهوم البنية السردية

لقد تعددت الاتجاهات في تعريف البنية السردية إلى مفاهيم مختلفة وتيارات متنوعة، فالبنية السردية عند "فورستر" مرادفة للحبكة، وعند "رولان بارث" تعني التعاقب والمنطق للحبكة والزمان والمنطق في النص السردي، وعند "أودين موليز" تعني «الخروج عن التسجيلية إلى تغليب أحد العناصر الزمنية أو المكانية على الآخر، وعند الشكلانيين تعني التغريب، وعند سائر البنيويين تتخذ أشكالاً متنوعة، ومن ثم تكون هناك بنية واحدة، بل هناك بنى سردية متعددة الأنواع وتختلف باختلاف المادة المعالجة الفنية في كلّ منها.»[2] والبنية السردية عبارة عن «مجموع الخصائص النوعية للنوع السردي الذي تنتمي إليه.»[3]

3. تحليل الرواية:

1.3 ملخّص الرواية:

"ليلى" بطلة الرواية فتاة متمردة على الأعراف والتقاليد. إنّها في مرحلة المراهقة. أسرة "ليلى" أسرة تقليدية متشكلة من الأب والأمّ والابن والبنت. تعكس الرواية الفترة من 1956م- 1946م ومقاومة الشعب المصري للاستعمار الإنجليزي ومعركة بورسعيد، وتؤكّد على أهميّة الوحدة بين كافّة أفراد الشعب المصري في سبيل الدفاع عن الوطن.

أمّ ليلى امرأة مستسلمة وخاضعة ولا تخالف زوجها أبداً وتقوم بالأعمال التي يحبذها زوجها ولاترى "ليلى" أيّ مناهضة من جانب الأمّ. أمّا "ليلى" تواجه المشاكل في معاملتها مع أسرتها ومعارفها، لأنّهم يعتقدون أنّ البنت الطيّبة هي التي تجلس في البيت دائماً ولاتخرج منه ولا تشارك في الأعمال الخاصّة بالرجال. هي تعاني من أنّ أخاها محمود يستطيع أن يذهب إلى أيّ مكان وأن يفعل أيّ عمل ولكنّها تواجه القيود دوماً، إنّها تحبّ المساهمة في الثورة ضدّ المحتلين والمستعمرين ولكنّ أباها يرى هذا عيباً كبيراً لابنته ولايسمح لها أن تقوم بها. ومن ثمّ وفي ضمن القصّة نلاحظ أنّ محموداً يحب فتاة باسم سناء وهي تحبّه أيضاً، لكنّ أبا محمود يخالفهما في الزواج. "ليلى" تذهب إلى الجامعة وفي الجامعة يتعرف أستاذها الدكتور رمزي عليها وهو يقترح لأسرتها الزواج بها وهم يقبلون، لكنّها لا تحبّ الدكتور وتخاف منه. إنّها في الحقيقة تحبّ حسين الذي يساعدها في الحياة ويريد منها أن تكون حرّةً وأن تعتقد بنفسها، خلافاً للدكتور رمزي الذي لا يرى حقاً لها في أيّ شئ، لكنّها لا تجرأ أن تظهر حبّها لحسين. أبوها الذي يرى رمزي شبيهاً بشخصيته يحترمه كثيراً. "ليلى" تلك الفتاة المتمردة بعد مضيّ زمن تتغير وتستسلم لتقاليد هذا المجتمع الذكوري وتنجز أعمالاً يحبّها الآخرون دون مناهضة، إنّها تفتقد الثقة بالنفس وتستسلم إلى حدٍ ما. وفي نهاية الرواية نلاحظ تحررها مع تحرر الوطن من بقايا الاستعمار.

---

[1] . العجيمي، محمد ناصر، (1993)، في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، بيروت: الدار العربية للكتاب، ص 56.

[2] . الكردي، عبدالرحيم، (2005م)، البنية السردية للقصة القصيرة، القاهرة: مكتبة الآداب، ص 18.

[3] . إبراهيم، عبدالله، (لاتا)، السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)، ص 49.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.3 المضمون:

تعالج الكاتبة معظم الموضوعات والقضايا المطروحة على الساحة الاجتماعية والسياسية، بذكاء واتقان وشعور مرهف، كما هي تعتني بفكرة الصراع الطبقي والاستغلال الاجتماعي، وحرية المرأة.

إنّ رواية "الباب المفتوح" تحاول رسم نموذج لشخصية الفتاة المصرية وقضاياها في ظل المجتمع الذكوري حيث تعانى الفتاة من التمزق والقلق. "ليلى" تختلف عن قريناتها، هي ذكية جداً وترى الأمور من زاوية لا تراها أية من صديقاتها. هذه الفتاة بدأت تشكل وعيها وشخصيتها، في حين قريناتها مشغولات بفكرة الزواج. إنّها تجمع الأحداث في ذاكرتها وتحاول أن تصل إلى الوعي، فهي في هذه الرواية تتأمل الأحداث والوقائع الاجتماعية التي تمر على المجتمع، بكلّ مآسيه وتناقضاته، فهي تتمثل الوعي الاجتماعي في هذه الرواية وهذا الوعي بدأ يتشكل من ثورة 1946م الذي بدأت من صحراء سينا حتى انتهت بانسحاب العدو من بورسعيد وفي هذه المرحلة كانت "ليلى" معلمة تدرس في مدرسة من مدارس بورسعيد. فهي في هذه المرحلة تصل إلى حوالي عشرين من عمرها أي مرحلة الشباب، وهي من الجيل الذي أشعل نار الثورة وقاد مصر إلى طريق الحرية والإنقاذ، وخلال كلّ هذه السنين تربّى وعيها وشخصيتها، ومع أنّ أسرتها تخالفها في آرائها وأعمالها، لكنها تحاول أن تستمر طريقها وتحبّ أن تشارك في الثورة وأن تحارب ضد العدو الغاشم ونهائياً تنجح وتفوز، وهي تواجه مشاكل عديدة في طريقها وتصبح هذه الأحداث والمشاكل بمثابة المرشد لتكميل شخصيتها.

3.3 دراسة تطبيقية للرواية:

الرواية تتشكل من عدة عناصر فنية، تصنع هيكلها بشكل عام، وتلتزمها ولاتخلو منها الرواية الجيدة؛ وفي كلّ أثر أدبي ناجح هناك نوع من التناسب في العناصر الفنية من البداية حتى النهاية لكي تلقي إلى القارئ رسالة الرواية وغاية الكاتب وهي: العنوان/ الحدث/ الشخصيات/ الحوار/ الزمان/ المكان/ الأسلوب و.... ولاتنفصل هذه العناصر بعضها عن بعض، إنّما يمكن عند الحديث عنها مفردة تحليل كلّ واحد على حده، وتختلف أهمية كلّ عنصر منها بطبيعة الرواية ولونها الفنّي. فهنا نقوم بتحليل العناصر السردية فيها تحليلاً فنيّاً وافياً.

1.3.3 سيميائية العنوان:

إنّ دلالة العنوان الظاهرية تكمن في حدثها الأساسي. هذا العنوان يشجع القارئ على قراءة الرواية وكشف ما فيها. الباب هنا رمز للقيود والحدود المسيطرة على المرأة الشرقية في المجتمع الذكوري، وهذا الباب يجب أن يُفتح وهذا الفتح معناه إعادة الثقة بالنفس للمرأة. المفتوح لفظ مجهول، يعني أنّ الباب فُتح من قِبَل شخص مجهول والكاتبة أتت بمفردة مجهولة لتشجيع القارئ للقراءة وبعد قراءة الرواية نرى أنّ هذا الشخص هو "حسين" الذي يهتم بالمرأة وخاصة يحب بطلة الرواية "ليلى" ويساعدها لكسر القيود والحدود للرجوع إلى حقيقتها.

لهذا العنوان عدة نقاط قوة؛ وهي: العنوان يلائم مضمون الرواية، والكاتبة برسم البطلة تحاول أن تعرض للقارئ مدى القيود والحدود العالقة على المرأة الشرقية من قِبَل أسرتها ومجتمعها. هذا العنوان يشير إلى مشروع الرواية ولكن لايفشاه، فالقارئ

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يجب أن يقرأ الرواية حتى يفهم ما يجري في الرواية، فيمكن القول أن العنوان مثير ورائع لأنّه يشجّع المخاطب إلى قراءة الرواية.

2.3.3 الشخصية:

إنّ الأديبة "لطيفة الزيات" تركز على عنصر الشخصية. فهي تحاول أن ترسم الواقع وتكشف عن الحياة اللاشعورية والداخلية عند الشخصيات. فهي تصور لنا صورة من صور البؤس والفقر ورمز القلق والاغتراب الذي يعيشه أفراد هذا المجتمع. فالأفراد في هذا المجتمع لايشعرون بالأمن ولايستمتعون بالحياة، بل يقضون الحياة بأسوأ شكل.

تمتاز الرواية بكثرة الشخصيات وهذه ميزة من ميزاتها، «تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود.»[1] ونأتي في الجدول التالي بشخصيات الرواية ودورها في الرواية:

الجدول 1: (شخصيات الرواية ودورها في الرواية)

نوع الشخصية	الشخصية
البطلة	ليلى
الشخصية الرئيسة	ليلى
الشخصيات الفرعية	عصام، جميلة، خالة ليلي، ساميه هانم، عديلة، سناء، الدكتور رمزي، دولت هانم، صدقي بك، زينب هانم، حسين، عادل، فائزة، المرأة العجوز
الشخصية النامية	ليلى
الشخصية البسيطة	جميع الشخصيات إلّا ليلى

من خلال هذا الجدول نلاحظ أنّ أغلبية الشخصيات تكون من نوع الشخصية الفرعية، أمّا الشخصية الرئيسة فهي ليلى. للرواية بطلة واحدة وهي "ليلى"، كما نرى أنّ الشخصيات النامية قليلة جداً وهي: "ليلى" و سائر شخصيات الرواية تعتبر من نوع البسيطة. تتشكل هذه الرواية من عدة شخصيات؛ نشرحها في التالي:

"ليلى": فتاة في الحادية عشرة من عمرها وهي من أسرة ذكورية، لها قرينات تذهب معهن إلى المدرسة، لكن شخصيتها وآرائها تختلف عنهن كثيراً. فهي لا ترى خلافاً كبيراً بين الرجل والمرأة ولا تقبل آراء أسرتها الذين يعتقدون أنّ الفتاة يجب أن تبقى في البيت ولا تخرج منه، كما أنّ أمها ترى أنّ الفتاة الجيدة هي التي تحترم الآخرين ولا تخالفهم أبداً ولو كانت آرائهم

[1] . ينظر: المرتاض، عبدالملك، (1990م)، في نظريه الرواية، القاهرة: عالم المعرفة، ص1-7.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مخالفة لها. فهي تشتكي من تصرفات أسرتها وتخالفهم بين الفينة والفينة. ولكن تخاف من أبيها كثيراً وبعد أن ترى أنها مضطرة على هذا العيش كسائر النساء في مجتمعها، فتحاول أن تغير نفسها وتصبح مثلهن وفي هذا الحين تتعرف على صديق أخيه باسم "حسين" وهو يشجعها ويحاول أن يساعدها لكي لا تغير شخصيتها لأجل أفكار الآخرين البالية.

أبو ليلى: رجل متعصب ومتزمت وهو لا يرى حقاً للمرأة ويرى أنّ عليها أن تكون مستسلمة وخاضعة لآراء الرجل وخاصة زوجها. فزوجتها خاضعة لها دوماً وتنتظر شكواه ولا تجرؤ على أن تقف في وجه زوجها.

"محمود": هو أخو ليلى وهو رجل طيب و يدافع عن حقوق المرأة، فهو يختلف عن أبيه وأفكاره.

3.3.3 طريقة رسم الشخصيات في رواية "الباب المفتوح ":

"لطيفة الزيات" في هذه الرواية تستفيد من طريقة رسم المباشر وطريقة رسم غير المباشر للتعريف بالشخصيات؛ فهي توصف الشخصيات أحياناً بصورة مباشرة وأحياناً عن طريق قولهم وعملهم، إنّها تشير إلى الوجه الظاهر للشخصيات _لأنّ الوصف الظاهر يحظى بأثر بالغ في التعريف بالشخصيات-.

أ. وصف الهيئة:

نلاحظ أنّ الكاتبة تبدي عناية بمسألة وصف الظاهر. كما تصف "ليلى" قائلة:

«وفي السابعة عشرة أصبحت "ليلى" فتاة ممتلئة الجسم، متوسطة القامة، خمرية، مستديرة الوجه، دقيقة الملامح في استواء، عريضة الجبهة، عيناها عسليتان عميقتان ضيقتان شديدتا اللمعان وإذا ابتسمت ارتفعت وجنتاها الورديتان إلى أعلى وضاقت عيناها.»[1]

فالقارئ بعد قراءة هذا الوصف عن البطلة، يتمكّن من تصوير البطلة، لأنّ الكاتبة تقوم بوصف الشخصية بطريقة غير مباشرة. كما تقول في مكان آخر في وصف البطلة:

«ويحب العينين العسليتين الذكيتين الحساستين المعبرتين وكأنهما شاشة عدسة رقيقة الحساسية، والجبين العريض الممتد في استواء وكبرياء، والشعر القصير الناعم الفاحم السواد، والبشرة العاجية المشربة باحمرار خفيف في الخدين، البشرة الناعمة نعومة بشرة الطفل ....»[2]

الكاتبة في أغلب الرواية تقوم بوصف بطلة الرواية وتهمل الشخصيات الأخرى. ولكن أحياناً تقوم بوصف الشخصيات الفرعية كما تصف "حسين" إذ تقول:

«وقال حسين وهو يتأمل وجهها بعينيه السوداوين الواسعتين العميقتين...»[3] وتصف خادمة بيت عصام «ورفعت إليه سيدة عينيها السوداوين الكبيرتين الجريئتين وهي مازالت في جلستها وقامت في تكاسل....».[4]

---

[1] . الزيات، لطيفة، (1996)، الباب المفتوح، القاهرة: الكرمة للنشر والتوزيع، ص 24.

[2] . المصدر نفسه، ص 184.

[3] . المصدر نفسه، ص 137.

[4] . المصدر نفسه، ص 140.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ب. السلوك:

يعدّ سلوك الشخصيات من العناصر الهامّة في تعريف الشخصيات وخصائصها في الرواية. سلوك "ليلى" يظهر لنا أنّها فتاة لا تحب تصرفات أمها ولا تريد أن تقابل ضيفات أمها، وأن تسامرهن. حيث إنّ المرأة في هذا المجتمع لا تكون في موضع الاهتمام ولا تكون محطّ العناية. "ليلى" فهيمة جداً، فهي لاترغب في العلاقة مع صديقات أمها لأنهن يهتممن بجسم المرأة فحسب ولايرون قيمة لحقيقة المرأة. ونلاحظ أنّها لا تحب البيت وتراه سجناً لأنفسها:

«وأغمضت "ليلى" جفنيها وتحت يد أمها برفق عن كتفها ودخلت إلى حجرتها وأقفلت وراءها الباب. وسارت إلى النافذة واستندت إلى حافتها وودّت لو استطاعت أن تخرج من البيت.»[1]

ج. الحوار:

الحوار أداة طيعة في رسم الشخصيات والتعبير عن طبيعتها كما يكون مطابقاً للشخصية إذ يصدر منها ويدل عليها. وفي كلّ قصه يعدّ الحوار من العوامل المهمة في تعريف الشخصيات. ويرتبط الحوار بالشخصية ارتباطاً وثيقاً، فمن البديهي أن يكون الحوار متطابقاً مع المقدرة العقلية والثقافية للشخصية، ولايتنافر مع طبيعتها وعواطفها، فالطفل حينما يتحاور يختلف عن الطاعن في السن والمرأة غير الرجل. إنّ الحوار في العمل الأدبي يجب أن يكون مركّزاً، ولكل كلمة أو جملة وظيفتها، فالثرثرة بلا دلالة أو هدف، تسبب الملل. لقد نجحت كاتبة الرواية في استخدام هذا العنصر لتعريف الشخصيات، وبشكل عام باستخدام الحوارات المفيدة والمناسبة في الرواية، حيث أدت دوراً جديراً بالذكر في رسم الشخصيات. حوار كل من الشخصيات منسقة مع حالاتها النفسية، وخصائصها الشخصية واعتقاداتها.

على سبيل المثال الحوار الذي يجري بين ليلى وأمها يظهر لنا عدم رغبة "ليلى" من تصرفات صديقات أمها:

«دخلت الأم على "ليلى" في حجرتها: –ياللا قومي– البسي هدومك عشان تدخلي لسامية هانم.

و"سامية هانم" قريبة من قريبات أمها من الفرع الغني من الأسرة.

وأطرقت "ليلى": –أنا مش عايزة أدخل لحد.

–ليه؟

–ورفعت "ليلى" وجهها وقالت: –مش عايزة أشوفها، ما بحبهاش، ما بحبهاش من يوم فصل الشربات.»[2]

فهي تعلن معارضتها لأمها وأفكارها المتخلفة وتحكي أنّها لاتحبّ هذه المرأة والأمر يعود إلى تصرفاتها السيئة.

وهنا نلاحظ الحوار بين "ليلى" وأخيها "محمود". أخوها يدافع عن حقوق المرأة ولكن أحياناً يطلب من "ليلى" أن لا تخالف أباها، لأنّ أباها يطلب منها أن تجلس في البيت كقريناتها وأن لا تشارك في المظاهرة لأنها بنت والمشاركة في المظاهرة من مهمة الرجال:

---

[1]. المصدر نفسه، ص 31.

[2]. المصدر نفسه: 28–29.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«–اهدي شوية وخلينا نتناقش بعقل.

–عقل! فين هو العقل ده؟ أنا مش فاهمة حاجة، مش فاهمة حاجة خالص...أنا غلطانة... غلطانة ليه؟ ما سرقتش حد، ما قتلتش حد...خرجت في مظاهرة فيها ألف بنت، عبرت عن شعوري...

–وتوقفت "ليلى" عن الكلام برهة وكأنها تفكر ثم قالت بصوت خافت وكأنها تخاطب نفسها:

–غلطانة، فعلا غلطانة، عبرت عن شعوري زي ما أكون إنسان ونسيت، ونسيت إني مش إنسان، نسيت أني بنت....

وضحكت ضحكة أشبه العويل.

والتفتت إلى "محمود" وهي تكمل كلامها:

–مش ده اللي انت عايز تقوله يا "محمود"؟

–أنا ما قلتش كلام فارغ زي ده، وأنت عارفة كويس، عارفة أني أحترم المرأة وأعتقد انها زي الرجل تمام.

وأكملت "ليلى" كلامه وهي تشير بيدها إشارة خطابية:

– لها كل الحقوق وعليها كل الواجبات.»[1]

من خلال هذا الحوار نفهم أنّ "ليلى" فتاة واعية وهي حزينة وغير راضية من ظروف المرأة في مجتمعها. لأنّ المجتمع الذكوري يرى الرجل أفضل وأعلى من المرأة. ويعتقد أنّه حر ويستطيع أن يتمتع بكل الحقوق ويمتلكها. هي ترى أنّ الحياة هذه لاتستحق أن يحياها الإنسان، هذه الحياة التافهة التي يسيطر عليها رجال تافهون ونساء تافهات مثل "سامية هانم" وأختها "دولت هانم" إنها تخالف آرائهن.

4.3.3 الشخصيات الروائية:

والآن نريد تحليل الشخصيات الروائية بناء على مفاهيم التحليل الاجتماعي، ودراسة تشكلها في الإطار المرجعي والاجتماعي، ونحاول أن نصل إلى الأيديولوجية الكامنة وراء هذا النص الأدبي. وسنصل إلى هذه المهمة عن طريق دراسة التناقضات الاجتماعية في الواقع الاجتماعي. وتحاول هذه الدراسة اكتشاف المجتمع الذي يصنعه الراوي.

الشخصية الروائية تستطيع ترسيم الثقافة، والاجتماع، والتاريخ، وهذه الشخصيات تشكل عالماً متكاملاً ينتجها الكاتب وفق تجربته والواقع المعيشي «يرمي من وراء ذلك إلى تقديم رؤية للعالم الذي يعيش فيه من خلال خلق هذا العالم كما يتصوره، أو كما يراه وفق موقفه منه.»[2] والكاتب عن طريق خلق هذه الشخصيات يستطيع أن يصور سيرته الذاتية، أو أن يرسم الواقع الذي يعيشه.

البعد الاجتماعي للشخصيات الروائية في هذه الرواية قائم على التعايش والصراع الذي يستطيع إبراز الصراع الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية. ولا نقصد في هذه الرواية دراسة كل الشخصيات الروائية، بل نحاول إبراز الاختلاف والصراع الاجتماعي الذي تمثله الشخصيات، ولذلك نختار الشخصية الرئيسة في مجتمع الرواية.

---

[1] . المصدر نفسه: 30.

[2] . يقطين، سعيد، (2001م). انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، الطبعة الثانية. المغرب: الدار البيضاء، ص 141.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ليلى: المرأة والوعي والعزلة

في رواية "الباب المفتوح" تظهر المرأة في الشخصية الأساسية "ليلى" وفي بعض الشخصيات الفرعية. وفي أغلب الأوقات يصور الكاتب لنا المرأة ونجدها المرأة الضعيفة المغلوبة على أمرها ولكن "ليلى" تختلف عن الأخريات وهي تظهر في صورة المرأة القاسية، والمتسلطة التي لا تستسلم للظروف ولا تخاف من قسوة المجتمع والزمن. فرغم أنّها فتاة صغيرة إلا أنها تتحدى كل الظروف القاسية، فهي لا تستسلم، ولا تقبل الهزيمة. إنّها تتمتع بدرجة كبيرة من الوعي، فهي تفكر دائماً وتحاول التغيير في المجتمع. فنلاحظ أنّ المشاكل الاجتماعية التى يعاني منها المجتمع تسبب في إنتاج الشخصيات القلقة والمضطربة والمتمزقة دائماً.

ليلي فتاة في الحادية عشرة تعيش في مصر، هذه الفتاة بدأت تشكل وعيها وشخصيتها، إنّها تجمع الأحداث في ذاكرتها وتحاول أن تصل إلى الوعي، فهي في هذه الرواية تتأمل الأحداث والوقائع الاجتماعية التي تمر على المجتمع، فهي تتمثل الوعي الاجتماعي في هذه الرواية وهذا الوعي بدأ يتشكل من ثورة 1946م الذي بدأت من "سينا" حتى انتهت بانسحاب العدو من "بورسعيد" وفي هذه المرحلة كانت "ليلى" معلمة تدرس في المدرسة في "بورسعيد". هذه الفتاة الصغيرة تحمل في داخلها عبئ المسئوولية على كاهلها، فهي رمز القوة والشجاعة، وهي تشعر بوعيها بذاتها وبالآخرين وبمجتمعه البائس الفقير، الذي يعاني من حضور المستعمرين الأجانب في البلد. إنّها تتأمل في كلّ فئات المجتمع وتبحث في مشاكلهم ومآسيهم من دون أن يجد المخرج أو الحل الذي يقدمه لهم، فهي تضطر على الصمت وعدم إبراز آرائها إلا قليلاً لأنّ أسرتها تخالفها ولا ترى لها حقاً للمشاركة في المظاهرة والقيام بالأعمال التي ينجزها الرجال. إنّها شخصية اجتماعية ولكن عاجزة عن أيّ عمل اجتماعي. وهي تشعر بألم المجتمع وتفكر به دائماً وهذا هو مصدر الوعي عندها.

بطلة الرواية تعاني من العزلة، لأنّها في بيتها لا تشعر بالراحة من قبل أبيها وأمها، إنهما يصوران لها حدوداً كثيرة ولا يسمحان لها بالخروج عن الحدود والقيود، بل كلّ يوم تؤنبها أمها لأجل الأعمال التي كان عليها أن يقوم بها ولم تقم بها والأعمال التي لم تكن عليها أن تنجزها وأنجزتها:

«وأغمضت "ليلى" جفنيها وتجمع الغضب في جسمها واحتبس في حلقها وجف له فمها ولسانها، غضب بدأ غامضاً ثم لم يلبث أن تركز على أمها، غضب مثل ذلك الذي كانت تشعر به وهي طفلة حين كانت أمها تلقيها على ظهرها وتثبت جسمها في الأرض وتفتح فمها بالقوة وتلقي فيه بشربة زيت الخروع....ولكنها هذه المرة لم تفتح فمها لقد فتحت عينيها بالقوة.»[1]

إنّ حالة تشكل الوعي عند "ليلى" تجعلها تنفرد بنفسها وتشعر بالعزلة خاصة عن أسرتها، وتفكر في الواقع الذاتي والاجتماعي. إنّها تعاني من العزلة وتشعر بالقلق والاضطراب الداخلي في حين إنّها تبحث عن طريق الحرية الذاتية والاجتماعية:

[1] . الزيات، (1996م)، ص 31.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«أمها قالت: أنت جاهلة بالدنيا! وكان من الممكن أن تقول "أنت ضروري أن تتعلمي الكذب والنفاق يا بنتي، وطبعاً لم تقل هذا، ولكنها قالت ما يساويه. وأيّ حياة هذه؟ إنها حياة لا تستحق أن يحياها الإنسان، هذه الحياة التافهة التي يسيطر عليها رجال تافهون ونساء تافهات ....»[1]

الضغط الكبير الذي تعيشه "ليلى" في بيتها ومجتمعها يجعلها في دائرة العزلة. وهي ترى أنّ الضغوط الكبيرة على الشخصيات تسبب أن تفقد الشخصية جوهرها الحقيقي الإنساني، ولا تبحث إلا في الحصول على لقمة عيش والشخصيات تعيش تحت الضغوط الاجتماعية الصعبة المفروضة عليها. شخصية "ليلى" شخصية متميزة في المجتمع، فهي تحاول أن تجد حلاً للمشاكل الموجودة. فهي تشعر بالاعتزال، وتشعر بالحزن والاكتئاب. فكلّ ما يحدث أمامها يجعلها تفكر وتضطرب نفسياً. إنّها تشعر بأنّها تعيش في سجن وفي ظمأ شديد إلى الحرية النفسية والروحية:

«وقفزت "ليلى" من السرير واقفة ...جارية! جارية في سوق الرقيق... تلبس وتتزين ليرتفع سعرها ... ولكن لماذا تغضب؟ لماذا تثور؟ ...أليست هذه هي الحقيقة؟ ...هذا هو وضع البنت في المجتمع الذي تعيش فيه ويجب أن تتقبل هي هذا الوضع أو تموت... وتربعت "ليلى" على الكرسي الأسيوطي: عندما تولد البنت يبتسمون ابتسامة تسليم، وعندما تكبر يسجنونها ويدربونها على فن...فن الحياة! تبتسم وتنحني وتتعطر ...وتكذب وتلبس كورسيه يشد خصرها ويرفع صدرها لكي يرتفع سعرها في السوق وتتزوج...»[2]

فهذه الشخصية في حالة عزلتها تبحث عن طريق الحرية النفسية والروحية. فالفارق الرئيسي بين "ليلى" و غيرها، تكمن في إدراكها للواقع والمآسي والمشاكل الموجودة في المجتمع، وهذا هو الذي يسبب في نفسها التمرد والاضطراب الداخلي، تدخله في دائرة العزلة. «قالت "جميلة": أنا مش خارجة. وهزت "ليلى" كتفها وقالت وهي تمشي في اتجاه الباب: – خليك. أنا شخصياً خارجة:

قالت "جميلة": «"ليلى"...أنت المسئولة عن اللي حايحصل، افرضي أهلك شافوك، أبوك ولا "محمود"؟....قالت في ضيق: أهلي، أهلي! هو ما حدش له أهل غيري».[3]

فهي تدرك الواقع اليومي وتتمرد عليه ولا تستسلم أمامه وتحاول أن تشكل مبادئ الحضور في الثورة. إنّها تلتجأ إلى العزلة تعبيراً لرفض هذا الواقع المؤلم، بل ترى الحل في اختيار العزلة لتكوين شخصيتها متفردة ومميزة. إنّ الإنسان حقيقة يتأثر بالبنية المادية والاجتماعية التي يعيش فيها، كما يتأثر بتجارب التاريخ البشري، ولكنه في الاستجابة لهذه المؤشرات جميعها حر في جوهره وكائن فعال خالق. "ليلى" تحاول تغير الواقع والتصدي لهذا الواقع الاجتماعي فهي تحاول أن تكافح جميع الصعوبات، لأنها تعتقد أنّ الإنقاذ ممكن ولكن بحاجة إلى المحاولة.

---

[1] . المصدر نفسه ، ص31.

[2] . المصدر نفسه، ص 36.

[3] . المصدر نفسه، ص 44.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

"ليلى" لأجل عدم وجود العلاقة الحميمة مع أسرتها وشدة القيود والحدود من قبل أبيها وأمها ولتفكيرها الكثير في واقعها وواقع مجتمعها تقع في العزلة، فهي تهرب من الآخرين وتلجأ إلى غرفتها لتكون وحيدة بنفسها. فشعورها بالعزلة كان نتيجة رفضها استسلام هذا المجتمع وواقعه، لكنها تشعر بآلامها في ذاتها. إنّ البطلة "ليلى" لا تنعزل بالمعنى الحقيقي عن المجتمع، بل تريد أن تبتعد عن المبادئ السائدة في مجتمعها المتخلف، المجتمع الذي يطلب من المرأة أن تخضع وتستسلم للرجل وأن تسجن نفسها ولا تخرج منه. بعد نجاح "ليلى" في الجامعة هي عرفت على أستاذ جامعي شبيه بأبيه، فاستمر عزلتها وقلقها واضطرابها الداخلي في هذه الجامعة التي تديرها أمثال أبيها، فهو طلب من أسرتها أن يتزوج منها. فكل هذه العوامل ساعدت على ظهور شخصية متميزة، ثائرة، منعزلة، اجتماعية تحاول تغير المجتمع أو التفكير الجدي في هذا التغيير. إنّ البطلة تحاول المقاومة والتحدي للوصول إلى التغيير في هذا المجتمع.

5.3.3 التركيب البنائي للرواية:

تلعب الروائية بقلمها بمهارة وإيقاع غنائي بالغ العذوبة. فتتحرك المشاهد والشخصيات وتمتزج بالطبيعة والأشياء وبحادثة حضور المستعمرين الذي نشعر بوطأته القاسية على كل ما في البلد المصري وكل ما فيها يحتج بصمت على الاحتلال الغاصب. فنلاحظ آثار النكبة والاحتلال على القاهرة الصامتة والرافضة والمنتظرة. ويتصاعد منها إيقاع الأيام الضجرة الضيقة والرتيبة وتنعكس تلك الآثار على شخصيات الرواية سلباً وإيجاباً. نستطيع أن نميز نمطاً في كتابة هذه الرواية؛ وهو الأسلوب الساذج السلس الذي يخلو من التعقيد والتكلف وهو سائد على معظم أجزاء الرواية. إنّ الكاتبة في الرواية تستخدم اللغة العربية الفصحى في جانب اللغة العامية:

«أدركت "ليلى" أنّه يسألها هذا السؤال ليحرجها، وليصل إلى مرحلة التقريع والتأنيب ولم تقل شيئاً.

– «تاني مرة ابقي نظمي مواعيدك، اللي عايز يتعلم، ضروري ينظم مواعيده.»[1]

فاستخدام اللغة العامية في جانب اللغة الفصحى يزيد من صعوبة فهم النص ولهذا يجب على القارئ أن يقرأ الرواية مرات كثيرة حتى يفهمها جيداً.

6.3.3 الفضاء الروائي:

إنّ الفضاء الروائي يشمل الزمان والمكان الذين تحدث فيهما الرواية. الزمن يرتبط بالسرد ارتباطاً وثيقاً، إذ لا سرد بلا زمن، وهذا الارتباط الوثيق بين السرد والزمن هو الذي منح الزمن أهمية كبيرة في الرواية بوصفها فنّاً سردياً بالدرجة الأولى ويشكل الزمن أحد أهم عناصرها ويترتب عليه التشويق والإيقاع والديمومة، حتى يمكن القول إنّ الزمن هو القصة وهي تتشكل وهو الإيقاع في نموها.[2] ولأهمية الزمن في السرد ألمح "هنري جيمس" غير مرّة إلى «أنّ الزمن بوجوهه المختلفة عامل تكييف

[1] . المصدر نفسه ، ص 207.

[2] . الحازمي، حسن حجاب، (2006م). البناء الفني في الرواية السعودية، دراسة نقدية تطبيقية، المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ص 385.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

رئيسي في تقنية الرواية.»[1] وقد أشار الشيخ غريد إلى أنّ «زمن القصة التقليدي، هو الزمن الطبيعي الذي يكون على التصور التالي؛ ماض، ثم حاضر، ثم مستقبل».[2]

المسيرة القصصية تنطلق حينما يحدد الكاتب لها عتبة زمنية يفترضها لها كنقطة انطلاق، مثل الإشارة إلى التاريخ أو ما يشبهه من الإشارات الزمنية الأخرى. تجدر الإشارة إلى أنّ نسبة حضوره أو انتشاره داخل النص يختلف من عمل أدبي إلى عمل أدبي آخر:

«كانت الأمسية أمسية 21 فبراير سنة 1946م والساعة السابعة والهواء ساكن فيه برودة محببة والجو نظيف كما لو كانت السماء قد أمطرت وغسلت الأرض»[3]

نرى أنّ الكاتبة من بداية الرواية تشير إلى الزمن ولا تهمل هذا الجانب الفني في روايته.

تسريع السرد يتم بواسطة حركتين سرديتين هما: الحذف والخلاصة. الحذف: هو الحركة الزمنية الثانية التي يوظفها الراوي من أجل زيادة سرعة السرد، والحذف من أجزاء السرد وفيها: يتم السكوت التام عن التطرق إلى ما حدث في الحكاية، ولا يقدم عنه شيئاً البتة في زمن الخطاب. يستخدم الكاتب الحذف، ربّما يريد أن يصل بنا إلى أحداث يراها أكثر أهمية ويجب التوقف عندها.[4] أمّا الخلاصة فيطلق عليها الملخص، أو التلخيص أو المجمل أو الإيجاز، فهي تعني: السرد في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدّة أيّام أو شهور أو سنوات من الوجود، دون تفاصيل أعمال أو أقوال[5]. والقصد أنّ هذه الحركة السردية تمضي بالنص نحو الأمام للتسريع من وتيرة السرد والخلاصة حركة زمنية تهيمن بصور أساسية على صيغة السارد العليم الذي يرى الأحداث من الخارج مجملاً لنا ما يراه مهماً خير مثال ذلك كما يلي:

«وبعد أيام قليلة عادت الحياة مجراها العادي، وتشغل كلّ فرد بمطالبها اليومية وبدا الناس كما لو كانوا قد نسوا ما حدث، ورجع "محمود" إلى مدرسته ولم يعد أحد يسأل "ليلى" عنه ولا عن المظاهرة، وأحست بمرارة في بادئ الأمر ثم بدأت تنشغل بأمورها الخاصة هي الأخرى.[6]»

بعد شهور من هذه المقابلة العابرة أرسل "الدكتور رمزي" يستدعيها إلى غرفته وعندما مدت يدها تفتح باب الغرفة تخلت عنها الشجاعة والصلابة التي تواجه بها الآخرين:

---

1. مندولا، أ، (1997م)، الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ص 23.
2. غريد، الشيخ محمد، (2010م)، المعجم في اللغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية والحديثة، المجلّد الثالث، لبنان: النخبة للتأليف والترجمة، ص 547.
3. الزيات، (1996م)، ص 1.
4. لحمداني، حميد، (2000م)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت: الدار البيضاء، ص 76.
5. جنيت، جرار، (1997م). خطاب الحكاية: بحث في المنهج. ترجمة: محمد معتصم عبدالجليل الأزدي وعمر حلّي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص 109.
6. الزيات، (1996م)، ص14.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«كانت ماتزال تعاني كلما واجهته، نفس الشعور الذي عانته يوم دخلت حجرته لأوّل مرة، مزيجاً من الخوف والرهبة والانجذاب.»[1]

وهنا نرى أنّ الخبر القصصي يختزل ولكن لاتشير الكاتبة بالضبط إلى الزمن الدقيق والأيام التي مرّت واستطاعت الساردة في هذه الأسطر القليلة أن تحمل هذه الأيام دون الخوض في تفاصيلها أو الأحداث التي مرت بالشخصيات أثناء مضيّ زمن الثورة والمظاهرة، بل نرى أنّ الراوية صبّت اهتمامها لإبراز انتهاء المظاهرة ورجوع كل شخص إلى حياته العادية وعدم الاهتمام بالمظاهرة وكثيراً ما تعتمد الكاتبة في تجربتها الروائية على الخلاصة من خلال توظيف سارد عليم بالأحداث، فاتحاً المجال أمام القارئ لربط الأحداث ببعضها وأيضاً لها بخيط السرد:

«كانت الأمسية أمسية 21 فبراير سنة 1946م والساعة السابعة والهواء ساكن فيه برودة محببة والجو نظيف كما لو كانت السماء قد أمطرت وغسلت الأرض والقاهرة على غير عهدها لا تتلألأ بالأنوار...»[2]

في هذه الرواية تقوم الكاتبة بتقديم شكل آخر من أشكال التلخيص، حيث يجتاز فيه كثيراً من الأحداث التي حدثت في مصر سنة 1946م جراء الاحتلال البريطاني. إنّ هذا التلخيص لاحتلال مصر عام 1946م شمل تصويراً عاماً لما جرى في زمن الاحتلال الذي لم يتجاوز الأشهر، وما أوجده الاحتلال بحسب ما ذكرت بطلة الرواية "ليلى" يفتح دلالات تأويلية كثيرة، لعل من أهمها تلك المعاني المستترة وراء مفاهيم الاعتقال والاغتصاب والتعذيب والقتل، فكلّ مفردة من هذه المفردات المذكورة تحتاج إلى شرح طويل وأمثلة كثيرة، ولكن الساردة استطاعت أن تقطع كلّ ذلك بسرعة تناسب مع سرعة التلخيص، بحيث أصبح التلخيص متناسباً مع المراد من التعبير عن تبعات الحدث الذي وقع في مصر هذا العام، وتأثيره في الشخصية وكأننا بالكاتبة تناغم بين سرعة إيقاع السرد لهذا الحدث والحالة النفسية التي كانت تعيشها تلك الشخصية، حين تذكر تلك الأيام الموجعة والظروف المعادية. إنّ الكاتبة كثيراً ما تتحدث عن الزمن في قالب "المساء" و"الصباح" وقد تقتصر الكاتبة جزئيات الزمان وتقلصه في عام، وأحياناً في شهر وأسبوع. كما تقول:

«في ذلك الصباح استيقظت مبكرة كعادتها لتقرأ الجريدة قبل أن يستيقظ أبوها وأخوها، وجلست على المقعد الأسيوطي في مواجهة باب الصالة ...»[3]

كما تقول في موضع آخر:

«في السابعة عشرة أصبحت "ليلى" فتاة ممتلئة الجسم متوسطة القامة...» «لمدة خمسة عشرة يوماً عاشت "ليلى" في توتر عصبي شديد، كما لو كانت تعيش في دوامة، كما لو كانت تعيش في حلم ثقيل، ولكن انتهى كلّ شيء»[4].

---

[1] . المصدر نفسه، ص 244.

[2] . المصدر نفسه، ص1.

[3] . المصدر نفسه، ص 14.

[4] . المصدر نفسه، ص 116.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لطيفة الزيات تأخذ موضوع الزمان في روايتها بعين الاعتبار. في الغالب عامل الزمن يحرك عجلة الرواية. عجلة الزمن هذه متغيرة وغيرثابتة في علاقاتها بالموضوع القصصي أو الروائي. لذلك حاول بعض النقاد رصدها من زاوية منهجية معينة تتناسب ومنطلقاتها النظرية والنقدية.

بناء على ما تذكره الكاتبة في الرواية من الزمان نلاحظ أنّ الكاتبة لاتشير مباشرة إلى عدد السنوات التي تستغرق الرواية. فهي في بداية الرواية تتحدث عن حوادث سنة 1946م. الكاتبة في ذيل هذه الأجزاء تشير إلى السنوات التي حدثت فيها أحداث الرواية بشكل منتظم. وأحياناً تشير إلى الأسبوع والشهر والفصول السنوية الأربعة. هي لا تتحدث عن فصل الشتاء وبرودتها وقسوتها و عن سائر الفصول. تقول الكاتبة:

«في صباح اليوم التالي طلبت "ليلى" أن ترى أخاها قبل أن تذهب إلى المدرسة، ونظرت إليها أمها بعينين حمراويين نظرة غريبة...»[1]

وهي في نهاية الرواية تشير إلى حوادث سنة 1956م وتبدأ في هذه السنة حركة المقاومة ضد الاسرائيل على "صحراء سيناء" واشتركت بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل:

«الساعة الحادية عشرة صباحاً واليوم يوم 5 نوفمبر سنة 1956م والغيوم تلبد السماء، غيوم كثيفة غبراء....»[2] الأديبة لطيفة الزيات في هذه الرواية تتعامل مع الزمان تعاملاً بارعاً وتوظفها توظيفاً فنياً ناجحاً.

بالنسبة للمكان فإنّ الكاتبة في هذه الرواية تتحدث عن الأمكنة كـ"البيت، والحجرة، والغرفة، والصالة، و... وكل هذه الأمكنة تقع في مصر ولاتخرج شخصيات الرواية من هذا البلد:

«وفي وسط حجرة الاستقبال أمام مائدة مستديرة وقفت "ليلى"، فتاة في الحادية عشرة من عمرها، سمراء، مليئة ويدها تعبث في حركة آلية بصندوق خشبي للسجائر...»[3]

الجدير بالذكر أنّ الكاتبة لا تتحدث عن الأمكنة المقدسة الدينية ولكن على لسان شخصياته يشير إلى القضايا الدينية، على سبيل المثال: أبو ليلى حينما يرى أنّ ابنه لا يرجع ويتأخر، يتمتم الآيات القرآنية ويتوسل بالمقدسات للنجاة. الكاتبة في هذه الرواية قليلاً ما تهتم بوصف الأمكنة وبيان جمالياتها، فهي تتحدث عن الأمكنة للضرورة فقط.

يتجه هذا البحث لدراسة المكان من بابين هما: المكان الرحمي (الأليف) والمكان المعادي؛ لنجد أنّ الأحداث هي العامل الرئيس في تحديد نوع المكان، فعندما تكون الأحداث الجارية في المكان سارة يكون المكان رحمياً، وعندما تتعرض الشخصية لأذى فكرياً أو جسدياً، يكون المكان مبعث قلق وخوف، وبالتالي سيكون معادياً.

نستطيع أن نقسم هذه الأمكنة إلى الأمكنة المحببة والأمكنة المعادية عند البطلة. فمن الأمكنة المحببة التي اتصفت بالألفة، واستطاعت أن تحتل مساحة في تجربة الروائية هي غرفة "ليلى" «الغرفة دالّ، وما تحتويه من أسرار الماضي وشخصية الحاضر

---

[1] . المصدر نفسه، ص 5.

[2]. المصدر نفسه، ص 320.

[3]. المصدر نفسه، ص 3.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مدلول.»[1] غرفة "ليلى" كحفرة عميقة تتجمع فيها كلّ أسرارها. هذه مكان للنوم والراحة في حين إنّها مكان لحفظ الأسرار، في هذه الغرفة تتوزع الظلمة باستمرار، لاتصلها يد الأطفال و.. إنّها تلجأ إليها في كثير من الأوقات. فغرفتها تكون ملاذاً آمناً ومكاناً رحمياً، لأنّها حينما تعاني من تصرفات أسرتها وخاصة أمها وأبيها في البيت وتهرب منهما، تنصرف إلى الغرفة لتكون وحيدة ومريحة من كلامهما اللاذع:

«فهنا في هذه الغرفة عالمها الذي تتصرف فيه وحيدة بعيدة عن كل من في البيت حتى عن "محمود". وفي ذلك العالم عاشت تحلم، وتفرح وتتألم وتشتهي أشياء غامضة لا تدري ما هي...»[2]

هذه الغرفة قامت بوظيفة سردية إذ أنّها عادة مكان يرمز إلى الحياة الداخلية الحميمة، والحماية من العدوان الخارجي، وقد صورتها الروائية على أنّها مكان تقيم فيه الشخصية وهي تحبها وتلجأ إليها في أغلبية الأوقات. فتعتبر غرفة "ليلى" المكان الرحمي وهذا المكان يشبه رحم الأم، و«الذي يبعث على الدفء والحماية والطمأنينة في أيام الطفولة، مثل بيت الطفولة والقرية ويظل عالقاً في الذاكرة طول العمر.»[3] أهمية مثل هذه الغرفة تكمن في شفاءها آلام الإنسان. فهي الصندوق المقفل بالعذاب والآلام، «وهي القلعة الكائنة في أعماق الأرض وهي المأمن والخلاص من عتبات الزمن.»[4] وعلى جدران هذه الغرفة تسجل "ليلى" مخاوفها وآمالها وآلامها.

أمّا البيت فيجب أن يكون مكاناً للتسلية والترويح عن النفس، إذ يجمع أهالى الأسرة مع البعض ويتحدثون معاً ويحاولون إزالة الحزن عن روح البعض. هذا البيت الذي يسكنه الأم والأب يعدّ المكان المعادي عند البطلة وهي مضطرة أن تسمع أقوالاً تافهة وخاصة يلومها الأب والأم لتصرفاتها:

«في البيت تبدأ أمها تعنفها على شئ، فلابد أن يكون هناك شئ ما، شئ كان ينبغي أن يعمل ولم يعمل، أو كان ينبغي ألا يعمل وعمل، ثم يظهر أبوها بوجهه الهادئ الصامت الخالي من التعبير ويفرض صمته وهدوئه على كل من في البيت، وتبدأ أمها تمشي على أطراف أصابعها وتلتفت حولها بعينين قلقتين تتأكد أن كلّ شئ معد كما ينبغي أن يعد....»[5]

فهذا البيت هو بيت فوضى، قائمة دون نظام وبطلة الرواية قد تنقضي هنالك حياة صعبة مليئة بالأحداث. وهنا يحول الكاتب بيت أبي ليلى الكبير الذي يحوي غرفاً واسعة والذي تدب فيه الحياة من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل إلى سجن بحسب واقع الحال الذي استجد على البطلة. المكان "أكثر من منظر طبيعي، وهو حالة نفسية يستعاد عن طريقها التاريخ الشخصي المتجذر في اللاوعي المرتبط بهذا المكان أو ذلك، وعلى هذا يكون المكان هو المكان الذي يمكننا الإمساك به، والذي يمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية، وهذا المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لامبالياً ذا

---

[1]. النابلسي، شاكر، (1994م)، جماليات المكان في الرواية العربية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 72.

[2]. الزيات، (1996م)، ص 28.

[3]. النابلسي، (1994م)، ص 16.

[4]. باشلار، غاستون، (1984م)، جماليات المكان، مترجم: غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 102.

[5]. الزيات، (1996م)، ص 25.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أبعاد هندسية.[1] أثّرت حالة الشخصية على المكان، وتعرضت الشخصية بحالة من التوتر والقلق، فتحس بالضياع والوحدة.

إنّ علاقة الشخصية بالمكان علاقة وطيدة والارتباط بينهما كبير. الشخصية الروائية تؤثر في المكان كما تتأثر به، فنلاحظ لشخصية "ليلى" نفسية مضطربة بفعل الظروف التي مرت بهما. نستطيع القول أنّ الكاتبة في رواية "الباب المفتوح" وظّفت مكاناً يُفترض أنّه رحمي يرتبط في الذاكرة الإنسانية، بالهدوء والطمأنينة والاستقرار النفسي بما ينسجم مع رؤية الشخصيات له، وتبعاً لظروفهم المعيشية ولحالاتهم النفسية ولأمزجتهم، الأمر الذي جعلنا نصنّف البيت ضمن قائمة الأماكن المعادية.

الشوارع من الأماكن المفتوحة للشخصيات المتواجدة فيها، فالشارع أحد الملاذات للشخصية الروائية، حيث تهرب من خلاله من ضيق الداخل المختنق إلى الخارج المفتوح. نلاحظ هنا خروج الشخصية الروائية "ليلى" من المكان المغلق (البيت) إلى المكان المفتوح (الشارع)، "أما في الشارع اجتمعت الطالبات كتلة واحدة من جديد وبدأ الهتاف من جديد يتبادله الطلبة في الخارج والطالبات في الداخل:

«لا استعمار بعد اليوم ... يسقط أعوان الاستعمار ... السلاح السلاح نريد السلاح... نموت وتحيا مصر....

وقالت "عديلة": ياللا يا "سناء."

وتبعتها "سناء" دون تردد، دون أن تنظر إلى الخلف، وانفصلت الشلة إلى قسمين وبقيت "ليلى" مع "جميلة".

وقالت "جميلة": أنا مش خارجة.

وهزت "ليلى" كتفها وقالت وهي تمشي في اتجاه الباب:

خليك. أنا شخصياً خارجة.»[2]

وهذه الأماكن متاحة لكل أفراد المجتمع، فالشارع ليس ملك لأحد معين، حيث حررت "ليلى" نفسها من مكان قيدها وانعدام حريتها إلى مكان أكثر حريّة لا تقييد فيه، والشارع عادة يمنح الراوي مجالاً واسعاً لمعالجة موضوعات مرتبطة به. فنرى أنّ الكاتبة تمنح لشخصيتها الحرية التي لم تجدها في البيت الذي عانت فيه الكثير، بالسير في الشارع. فالكاتبة هنا تمنح مستخدم الشارع سمة الحريّة، وتجعله بالنسبة لها مكاناً مفضلاً عن الأماكن المفتوحة العامة الأخرى، يكتسب فيه ومن خلاله قدرة على الفعل والتغيير.

4. خاتمة:

تمّ التوصّل إلى النتائج التالية من خلال قراءة فاحصة للرواية من منظور البنية السردية:

1. رواية "الباب المفتوح" تأخذ بعداً تاريخياً مستمداً من الواقع الاجتماعي والسياسي لمصر 1946م. ومجتمع هذه الرواية هو تشكل تاريخي لمصر في فترة زمنية تاريخية محددة مر بها المجتمع الواقعي، فالرواية تشكلت وفق العالم الواقعي والحقيقي وما جرى في مصر سنة 1946م.

[1]. باشلار، (1984م)، ص31.

[2]. الزيات، (1996م)، ص44.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2. بطلة الرواية تتأمل الأحداث والوقائع الاجتماعية التي تمر على المجتمع، بكلّ مآسيه وتناقضاته، فهي تتمثل الوعي الاجتماعي.

3. الكاتبة ترسم الشخصية الرئيسة وهي تعاني من العزلة، لأنّها في البيت لا تشعر بالراحة من قبل أبيها وأمها، إنهما يصوران لها حدوداً كثيرة ولا يسمحان لها بالخروج عن الحدود والقيود. إنّها تعرف الشخصيات أحياناً بشكل مباشر وأحياناً بشكل غير مباشر بل عن طريق قولهم وعملهم. وهي عن طريق شخصياتها تحاول ترسيم صورة من صور البؤس والفقر الذين يعتبرون رمزاً للقلق والاغتراب الذي يعيشه أفراد هذا المجتمع وهذا يدلّ على أنّ الأفراد في هذا المجتمع لايشعرون بالأمن ولايستمتعون بالحياة، بل يقضون الحياة بشكل فضيح.

4. الكاتبة تختار عنواناً للرواية لتشجع القارئ على القراءة وكشف ما فيها حيث إنّ الباب رمز للقيود والحدود المسيطرة على المرأة الشرقية في ظل المجتمع الذكوري.

5. الكاتبة تأخذ موضوع الزمان في روايتها بعين الاعتبار. لاتشير الكاتبة مباشرة إلى عدد السنوات التي تستغرق الرواية. فهي في بداية الرواية تتحدث عن حوادث سنة 1946م وفي ذيل هذه الأجزاء تشير إلى السنوات التي حدثت فيها أحداث الرواية بشكل منتظم. وأحياناً تشير إلى الأسبوع والشهر والفصول السنوية الأربعة. فهي لا تقوم بشرح فصل الشتاء وبرودتها وقسوتها وسائر الفصول.

6. الكاتبة لا توصف جماليات المكان بل تهتم بذكر الأماكن المغلقة كالبيت والغرفة وجميع هذه الأماكن تقع في مصر، كما هي تصف المكان الرحمي (الأليف) والمكان المعادي؛ لنجد أنّ الأحداث هي العامل الرئيس في تحديد نوع المكان، فعندما تكون الأحداث الجارية في المكان سارة يكون المكان رحمياً، وعندما تتعرض الشخصية لأذى مهما كان نوعه، سواء كان فكرياً أو جسدياً، يكون المكان مبعث قلق وخوف، وبالتالي سيكون معادياً.

5. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1. إبراهيم، عبدالله، (2005م)، موسوعة السرد العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
2. _____، (لاتا)، السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي).
3. باشلار، غاستون، (1984م)، جماليات المكان، مترجم: غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
4. الجنيت، جيرار، (1997م)، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم عبدالجليل الأزدي وعمر حلّي، المجلس الأعلي للثقافة.
5. الحازمي، حسن حجاب، (2006م)، البناء الفني في الرواية السعودية، دراسة نقدية تطبيقية، المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

6. زكرياء القاضي، عبدالمنعم، (2009م)، البنية السردية في الرواية، الناشر عن الدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية.
7. الزيات، لطيفة، (1996م)، الباب المفتوح، القاهرة: الكرمة للنشر والتوزيع.
8. العجمي، مرسل فاتح، (2011م)، السرديات: مقدمة نظرية ومقتربات تطبيقية، الكويت: آفاق للنشر والتوزيع.
9. العجيمي، محمد ناصر، (1993م)، في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، الدار العربية للكتاب.
10. غريد، الشيخ محمد، (2010م)، المعجم في اللغة والنحو والصرف والإعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية والحديثة، المجلّد الثالث، لبنان: النخبة للتأليف والترجمة.
11. فضل، صلاح، (1985م)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
12. الكردي، عبدالرحيم، (2005م)، البنية السردية للقصة القصيرة، القاهرة: مكتبة الآداب.
13. لحمداني، حميد، (2000م)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
14. المرتاض، عبدالملك، (1990م)، في نظرية الرواية، القاهرة: عالم المعرفة.
15. مرشد، أحمد، (2005م)، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
16. مفقودة، صالح، (لاتا)، نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل.
17. مندولا، أ، (1997م)، الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر .
18. النابلسي، شاكر، (1994م)، جماليات المكان في الرواية العربية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
19. يقطين، سعيد. (2001م)، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، الطبعة الثانية، المغرب: الدار البيضاء.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)